فوق البهار[1] اسطر البهرم[2]
فخار في ذا الامر ليس الى قطع به يلتى السبيل المجلي
حتى يراهُ عاجلاً أشكلا فإن اتى بالسؤل كان بلا
اجر والاَّ ديس بالمسم[3]
بكل انواع الرزايا مُنِي وشرها استبعادهُ من دني
ومثل هذا فقرهُ للغني ذي حالة العالم في موطنِ
يكوى بهِ ذو الفضل باليسم[4]
يبيت حدُّ الظلم في لحمهِ يفري وداه الغمّ في عظمهِ
يسري وللايغال في ظلمهِ يركبهُ الجاهل من حلمهِ
والممتطي صهوة[5] المجد
هذا لعمر الحقّ ريح الذي يعلم في هذا الزمان وذي
عقبي امرء درَّ الذكاء غُذِي لو انصف الدهرُ استطي كل ذي
علم اخا جهلٍ فلم يظلمِ

الاحتفال بمترجم الالياذة

شهدت القاهرة في منتصف الشهر الماضي مشهداً لم ترَ مثلهُ من قبلُ وهو احتفال نحو مئة نفس من نخبة علمائها وادبائها بمترجم الالياذة بوليمة فاخرة اولموها لهُ في فندق شبرد. فزُيّن مدخل الفندق بالمصابيح الكهربائية المختلفة الالوان وزينت حديقتهُ واشجارها بالشموس والقناديل الكهربائية ومدَّت الموائد في ساحتها وجلس حولها المحتفلون من داعين ومدعوين فتناولوا شهي الطعام ووضع امام كلٍّ منهم بطاقة رسم على وجهها الهرمان وابو الهول شعار مصر وجبل لبنان وارزهُ شعار الشام وشمس المعارف فوقهما يفيض شعاعها عليهما وتحتهما هذه الابيات

حييتَ يا وطناً تصبو القلوب الى ارجائهِ وبهِ الارواح تغتبطُ
شمس المعارف في علياهُ جامعةٌ اطرافهُ وهي فيما بينها وسطُ
ففي ذرى الارز حبلٌ من اشعتها يلقى وحبل على الاهرام ينبسطُ

وداخل البطاقة اسماء الاطعمة بالعربية والفرنسوية. وطلبت لجنة الاحتفال من احد منشئي هذه

(١) نبت صفر الورق (٢) الحناء (٣) خفّ البصير (٤) المكواة (٥) الخ

الجأة ان ينوب عنها في الترحيب بالمدعوين ووصف العمل الباعث على اقامة الحفلة فوقف بعد انتهاء الطعام وافتتح كلامهُ ملتمساً العذر من الحضور عن التقصير في ايفاء الموضوع حقهُ مستشهداً بعبارة قالها لهُ سماحة السيد توفيق البكري نقيب الاشراف الذي كان جالساً الى جانبهِ وهي قول العرب عن الكلام الغث " هذا كلام بعد طعام او قبل منام " ثم قال

لعلَّ احتفالنا هذا اول احتفال من نوعهِ في ديار المشرق وعسى ان يكون فاتحة حفلات كثيرة تقام اكراماً للعلم واجلالاً لقدر ذويهِ

لا اعلم يقيناً على بال مَن خطر هذا الخاطر اول مرة ولكنني واثق ان جميع الحضور رحَّبوا بهِ واشتركوا فيهِ عن طيب نفس لا من حيث علاقتهُ بشخص معيَّن وان كان لهذا الشخص مقام رفيع في نفوسنا ولا من حيث ارتباطهُ بموضوع مخصوص وان كان لهذا الموضوع شأن كبير عند ارباب الاقلام ومحبوب البلاغة الذين يحلُّون هوميروس اعلى محل بين مصوري الخيال كما يحلون دائرة المعارف المحل الاول بين الموسوعات العربية . بل من حيث دلالتهُ على روح جديدة انبثت في ابناء المشرق وكنا نجهلها او نغض الطرف عنها وهي قدر الفوائد العلمية والادبية قدرها فان صديقنا الفاضل سليمان افندي البستاني المحتفَل بهِ ليس حديثاً في هذا المضمار بل قد راضهُ منذ اعوام كثيرة فقد اشتغل بالعلم منذ اكثر من ثلاثين سنة وظهرت نفثات يراعهِ في دائرة المعارف قبل ظهورها في الياذة هوميروس . وهو من بيت علم وفضل شيخهُ البستاني الاكبر صاحب محيط المحيط وقطر المحيط والجنان والجنة ودائرة المعارف ومفتاح المصباح وكشف الحجاب وغير ذلك من الكتب المتداولة منشئ المدرسة الوطنية والجمعية السورية صاحب الهمة العالية والعزيمة الماضية الخطيب المصقع والكاتب المتفنن والسياسي المحنَّك . والبستاني الثاني ابنهُ سليم افندي محرر الفصول الضافية في الجنان والدائرة خدن الادب والظرف والفصاحة الذي بخل الدهر علينا بهِ فقصف غصنهُ الرطيب وهو في ريعان الشباب . والبستاني الثالث الاستاذ عبدالله العالم اللغوي والشاعر البدوي . ولكن مَن مِن ابناء المشرق اعترف بفضل هؤلاء باحتفال عمومي مثل هذا . فليس اللوم عليهم ولا على اعلام القرن الماضي كالاسير والاحدب واليازجي والنقاش وغيرهم من علماء الشام ولا على علماء مصر الذين يعدُّون بالمئات ولهم القدح المعلَّى في كل منظوم ومنثور ومعقول ومنقول أن اهملنا الاحتفال بهم بل اللوم علينا لان عرفان الفضل على هذا السبيل لم يكن معروفاً عندنا . فاهنئك ايها الصديق الفاضل لانك رأيت من اخوانك من يقدر عملك قدرهُ سواء كان في دائرة المعارف او في الياذة هوميروس كما اهنئ الذين خطر لهم هذا الخاطر اولاً لا زال لهم السبق الى كل مفخرة

اما الدائرة فشرع فيها البستاني الاكبر منذ نحو ثلاثين سنة واعدّ لها المعدات الكثيرة فاصدر منها ستة اجزاء وقُبض الى رحمة ربهِ فتولّى اصدارها ابنهُ الاكبر سليم افندي ولم يمهلهُ الردى ان اتمّ جزئين منها فألقى حذا العبءُ الثقيل على اخويهِ الصغيرين وعلى ابن عمهما موضوع احتفالنا وكان مشاركاً في العمل من اولهِ فقام بهِ معهما احسن قيام كما تشهد فصول الدائرة

والالياذة شعر يوناني تاريخي من اقدم ما نظمهُ الشعراء واوسع ما افرغوا فيهِ معارفهم موضوعهُ وصف وقائع قليلة من حروب طروادة لكن الشاعر توسع في الوصف وقصّ الاخبار حتى تُعدّ قصيدتهُ دائرة لمعارف عصرهِ فقد ذكر فيها طباع الناس وعاداتهم وعباداتهم ومبلغ ما وصلوا اليهِ من العمران . ويظهر منها ان اليونان كانوا في ذلك العصر وما قبلهُ اهل فلاحة وصناعة وتجارة وعلم وفلسفة وقد بلغوا في ذلك كلهِ وفي انشاء الحصون وتعبية الجيوش وبناء البوارج ومن الاحكام مبلغاً لم يفقهم فيهِ الذين تلوهم من اهالي اوربا الاّ في القرن الماضي ومن المرجح انهُ لم يفقهم احد حتى الآن في النقش وعمل التماثيل وصوغ المعادن

فهي كتاب كبير دقيق البحث كثير التعقيد اطّلع عليهِ ادباء العرب لما ترجموا كتب اليونان فتهيبوهُ ولم يترجموهُ لا لانهم كرهوا ترجمة القصص او لانهم لم يألفوا شيئاً مثلهُ فانهم وضعوا قصة عنترة ووقائعها تشبه وقائع الالياذة واسلوبهما واحد — اساس تاريخي وجيز تناولتهُ قريحة هوميروس في الالياذة وقريحة الاصمعي في قصة عنترة وبنت عليهِ بناء فخماً . بل يظهر انهم احجموا عن ترجمتهِ لكثرة ما فيهِ من الاعلام الغريبة والمعاني المغلقة او لكثرة ما ذكر فيهِ عن آلهة اليونان وشعائرهم الدينية او لغير ذلك من الاسباب

وظلّ هوميروس مغلقاً عن ابناء العربيّة تعنى ادباؤهم لو اتيح لاحد منهم ان يزيح الستار عنهُ وينقلهُ الى لغتهم كما نُقل الى اللغات الاوربية او كما نُقل قبلها الى السريانية (لان سليمان افندي حقق نقلهُ اليها) ولكن لم يكن في الامكان ان يتصدّى لهذا العمل الخطير الاّ رجل درس اللغة اليونانية لكي يقرأ هوميروس في اصلهِ عارف ببعض اللغات الاوربية الشهيرة ليقرأ شروحهُ فيها سيال القريحة حتى يسهل عليهِ نظم الالوف من الابيات بليغ العبارة طبعاً حتى يأتي كلامهُ من طبقة ما ترجمهُ كثير الحفظ واسع الرواية حتى يسهل عليهِ معارضة ابيات هوميروس بما يضارعها من اقوال شعراء العرب شديد الجلد لا يمل من نظم البيت بعد البيت والقصيدة بعد القصيدة سنة بعد سنة وهو في سعة من الوقت حتى يزاول الشعر اذا اطاعهُ ويتركهُ اذا عصاهُ . وغني عن البيان ان هذه الاوصاف اجتمعت كلها في

البستاني نقبض على هوميروس بيديهِ ولم يتركهُ حتى البسهُ حلة عربية

ولو وقف عملهُ عند هذا الحد لكان عظيمًا ومن اعظم الاعمال ولكنهُ لم يقف عندهُ بل تخطاهُ الى ما هو اعظم منهُ فان كثيرًا من معاني هوميروس مغلق وهو يشير الى امور كثيرة لا يفقه معناها الاَّ من لهُ المام واسع بالتاريخ والجغرافيا والميثولوجيا فلا بدَّ لفهم هذا الديوان من شرح مسهب يلم باطرافهِ كلها وهذا فعلهُ البستاني ولم يكتفِ بهِ بل عارض معاني هوميروس بمعاني شعراء العرب ولا سيما عنترة العبسي او ابي سعيد الاصمعي واضع قصة عنترة وبيَّن ان اكثر المعاني التي جاء بها هوميروس وكانت مألوفة عند اليونان كانت مألوفة ايضًا عند العرب في بداوتهم

وقد جاء تعريب الالياذة في نحو الف صفحة ونحو نصفها او ثلثها شرح بحرف دقيق فكانهُ الَّف كتابًا كبيرًا في شرح جمع فيهِ مئات من الشواهد العربية والتحقيقات العلمية

والبستاني حليف الطمع وما اشرف الطمع الجائز وما امجدهُ وما انفعهُ فان اكثر الاعمال العظيمة نشأت منهُ. فلم يشأ ان يرسل الالياذة بشرحها بتراء من غير مقدمة واي مقدمة. عرَّف احد علماء الانكليز المقدمة بانها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب ولكن صديقنا البستاني وضع للالياذة مقدمة تملأ مئتي صفحة ولا يملُّ القارئ من مطالعتها لما يجدهُ فيها من الفوائد وحسن التنسيق. وهي لا تقلُّ عن مقدمة ابن خلدون في تعدد مواضيعها وبلاغة عبارتها وكثرة فوائدها. ونسبتها الى مقدمة ابن خلدون من حيث دقة البحث نسبة العلم في هذا العصر اليهِ في عصر ابن خلدون. وهي مثلها ايضًا في متانة العبارة حتى يصح ان تكون انموذجًا للانشاء البليغ. وقد شغلت مئتي صفحة وخالف الكاتب فيها اساليب المقدمات فقسمها الى فصول عديدة حتى يرغب المطالع في مطالعتها ولا يملها كما يملُّ قراءة المقدمات التي لا فصل فيها

هذه المقدمة ديوان ادب وعلم افرغ فيها المؤلف نتيجة درسهِ وبحثهِ السنين الطوال وفي احتفالنا بنشر هذا الكتاب نحتفل بنشر ثلاثة كتب كبيرة الديوان المنتظم والشرح المنسجم والمقدمة الشاملة ثلاثة كتب في كتاب واحد يملا نحو ١١٥٠ صفحة يضاف اليها اكثر من مئة صفحة فهارس ومعاجم استغرقت تعبًا كثيرًا لكن المؤلف فضَّل ان يتعب مرةً ولا يتعب كل قارئ من قرَّاء كتابهِ مرارًا فلهُ الشكر الجزيل على كل حال.

وخلاصة القول اننا باحتفالنا هذا قد اعربنا نحن وحضرات الفضلاء الذين تكرموا وقبلوا دعوتنا عن رغبة في اكرام الادب وقدر اربابهِ قدرهم وانني واثق ان صديقنا البستاني مسرور مثلنا لا من حيث تخصيصنا هذا الاكرام بهِ لانهُ ابعد الناس عن حب الظهور بل من حيث

اكرام عملهِ لانهُ يستحق الاكرام. فاهنئك ايها الصديق الفاضل بما حزتهُ عن استحقاق تام من اكرام اخوانك لك. اهنئك بالنيابة عن الذين اقاموا لك هذا الاحتفال كما اهنئك بالاصالة عن نفسي. واكرر تقديم الشكر الجزيل لكم ايها السادة الافاضل الذين تكرموا بقبول دعوتنا لا زلتم في مقدمة هداة الامة ونصراء الفضيلة. واسمحوا لي في الختام ان اشكركم وسائر السادة الحضور لانكم اكرمتموني باصغائكم الى هذه الكلمات وان كنت قد قصَّرت في الوصف والاعراب عن ضميري فاللوم على الذين اطمعوني قبلما انتدبوني للكلام فجاء كلامي بعد الطعام وقبل المنام

ولما فرغ من الكلام وقف حضرة عبد الخالق بك ثروت وتلا كتاباً بعث بهِ فضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس جمعية احياء العلوم العربية وهذه صورتهُ

دعاني اصدقاؤك واصدقائي الى الانس بك ساعة تهنئتك بالنجاح في ذلك العمل الادبي الذي كلفت بابداعهِ عدة من السنين. دعوني الى الاشتراك معهم في شكرك لما دأبت في السعي واخذت نفسك بالصبر على مشقة البحث والعناء في اختيار مسالك النظم لتهدي الى ابناء لغتك العربية من احاسن الصناعة الادبية ما يعد زينة للناظرين

وكنت اكون اسرع الناس الى اجابة الدعوة لولا مانعٌ ذنبهُ اليَّ ذنب العاذل الى عاشق الحسان متعني الانس بك ولكن لم يمنعني ان اشارككم في شكرك

تمت لك ترجمة الالياذة لنابغة شعراء اليونان هميروس المشهور نسجت قريحتك ديباجة ذلك الكتاب كتاب الترجمة فاذا هو ميدان غزت فيهِ لغتنا العربية ضريعتها اليونانية فسبت خرائدها وغنمت فرائدها وعادت الينا في حلل من آدابها تحمل الى الالباب قوتاً من لبابها وما اجمل ذلك الغلب في زمن ضعف فيهِ العرب حتى عن الرغب في نيل الادب ما ينال منهُ عن كثب فضلاً عما يكسب بالتعب فحق لك الشكر على كل من يعرف قيمة ما وفقت لاكمالهِ من العمل فقد سددت ثلمة كانت في بنية العلم العربي من عشرة قرون اغار قومنا على دفائن الفنون اليونانية في القرن الثالث من الهجرة وما بعده فنثروا منها ما كان مخزوناً ونشروا بين الناس ما كان مدفوناً ولم يدعوا غامضاً الاَّ جلوه ولا بعيداً الاَّ قربوه ونالت اللغة العربية بصنيعهم ذلك ما لم يكن في حسبانها فقد صارت لسان العلم والصنعة كما كانت لسان الدين والحكمة

لكن كأن اولئك الاساطين الاولين كانوا يرون ان ذلك ما يفرضهُ الحق عليهم في جانب العلم الذي لا يختلف فيهِ مشرق عن مغرب ولا يتخالف على حقائقهِ الاعجم والمعرب وظنوا ان ما وراء العلم من آداب القوم ليس مما يتناسب مع آدابهم لبعد ما بين انساب اولئك وانسابهم فلم يمدوا نظرهم الى ما كان في اليونانية من دواوين الشعراء وما صاغتهُ قرائح البلغاء فلم تنل

اليونانية من عنايتهم مانالت الفارسية والهنديَّة وكان مؤمل اللغة منهم ان لايحرموها نفائس ما اخترع اليونانيون كما زينوها بزينة ما ابدع الهنديون والفارسيون وبقي ذلك المؤمل في غيب الدهر حتى اتيت ترفع عنهُ الستر وجئت تقول للناس انني اتمم في دولة عباس مانقص في ملك بني العباس فما اقر عين العربية بنيل طلبتها وظهور ما كان منتظرًا لشيعتها ارجو ان ينال كتابك من الاقبال عليهِ والانتفاع بهِ ما يكافئ تعبك ويبعثهم العالمين على ان تتبعك والسلام

ووقف بعدهُ حضرة فريد بك بازوغلي فقرأ تلغرافًا من حضرة الدكتور ابوستوليدس مترجم الالياذة من اليونانية القديمة الى اليونانية الحديثة يثني فيهِ على حضرة مترجمها الى العربية ويعتذر الى اللجنة عن عدم حضورهِ من الاسكندرية . وتلاهُ حضرة داود بك عمون فقرأ كتابًا من حضرة الدكتور شبلي شميل يعتذر فيهِ عن الحضور بانحراف صحتهِ ويهنئ المحتفلين باجتماعهم لاسمى غاية اجتماعية وفي الاعتراف بالفضل الصحيح وهنأ موضوع الاحتفال بخروجهِ من ترجمة الالياذة غانمًا . وقرأ بعده حضرة محمد افندي مسعود من محرري المؤيد كتابًا من سعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد يثني فيهِ على موضوع الاحتفال بسبب خدمتهِ " للغة العربية بل العلوم والآداب "وعلى المحتفلين" لوضعهم الشيء في محلهِ" ويعتذر عن عدم حضوره بغيابهِ في الاسكندرية

ثم وقف حضرة السيد رشيد رضا منشئ مجلة المنار وخطب خطبة بليغة شرح فيها الاسباب التي منعت العرب من ترجمة الالياذة في زمانهم وابان موافقة ترجمتها الى العربية في هذا الزمان . وتلاه حضرة اخنوخ افندي فانوس المحامي بخطبة انيقة ابان فيها فضل القوى الادبية حتى تخلص الى مدح مترجم الالياذة على قضائهِ زهرة العمر في اتحاف ابناء اللغة العربية بابلغ شعر عند الامة اليونانية غير طامع من وراء ذلك بمال ولا نوال . وقام بعده حضرة ابرهيم بك رمزي صاحب التمدن فبين فضل اليونان وعلومهم . وانتصب مترجم الالياذة فخطب الخطبة التالية

ايها السادة الكرام

قد ساقني فضلكم الى الوقوف في هذا الموقف وكل كلمة بل كل اشارة بل كل نظرة في هذه الهيئة المؤلفة من حضرة رجال الفضل والنبل تخولني من المنة ما يوقفني عاجزًا عن اداء واجب الشكر فاراني مضطرًا تجاه ما تكرم بهِ من الاطراء بلغاء الخطباء الحاضرين وما تفضل بهِ كتابة الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية وسائر العلماء الاعلام الغائبين ان الوذ بالصمت مفتخرًا ومعترفًا انني انما كنت كمرآةٍ انعكست لهم فيها صفاتهم الغراء فمثلوها تمثيلاً

ولو ساغ لي ان افاخر بعمل من الاعمال لكان محط فخاري عملاً لم تمدَّ اليهِ يدي ولم يكن

قط ليجول في خاطري ولكنهُ من جميل صنعكم ألا وهو عقد هذا الاجتماع . ولست ادري من اخصّ بالثناء فما ارى فيكم الاَّ الصديق الحميم الذي يعمل لصديقهِ اضعاف ما يعمل لنفسهِ والعالم الكريم الذي يعظم ذرّة الاجتهاد من كلّ مجتهدٍ سواهُ وهو لا يبالي بما انفق من اعوام الحياة خدمة للعالم . والاديب الشاعر والناثر الحكيم اللذين يطربان لكل نغمة جديدة من اغاني الأدب وان لم تكن شيئاً مذكوراً ازاء ما تجود بهِ قريحة كلّ منهما

فجميع اخواني السوريين بالفضل سواء فما هي الاَّ غيرة متقدة في افئدتهم فقيض الله ان تتجه الى هذا العاجز واما كرام المصريين فقد زادوا على تلك الغيرة وذلك الاحسان الفطري فيهم كرم الموازرة وما هي بالمرّة الاولى التي صافحت بها مصر شقيقتها سوريا ومدّت اليها ذراع الحب والولاء فتعاونتا على اعلاء شأن الادب والادباء

سادتي قد عرف الذين قرأوا تعريب الالياذة منكم اني اجهدت النفس بالمقارنات والمقابلات بين آداب العرب واليونان وما يتبع ذلك من معارف الامتين وتاريخهما واخلاقهما فأذنوا لي ان احدّو هذا الحذو بكلمة في المقابلة بين الالياذة وهذا المجلس الحافل

ان بروز الالياذة بحلة عربية انما هو نتاج اوقات فراغ تيسرت لطالب علم شغف بمحاسنها فلازمها ملازمة العاشق للمشوق ومهما يكن من كدّهِ ونصبهِ فقد نال اجرهُ بما سرّح النظر في عالم الحقيقة وروض النفس في رياض الخيال وما جلا من صدإ الهموم المتزاحمة على افئدة المشتغلين بالادب في مثل هذا الزمن . ويربو على كل ذلك اقبالكم هذا فاي جزاء اثمن من هذا الجزاء

واما اجتماعنا هذا فموّداهُ اسمى ومفادهُ اعظم وقبل النظر في حقيقة معناهُ استأذنكم ايراد شاهدٍ من الالياذة على سبيل التفكيه

قال بعض المحبين ليست الولائم مما يكافأ بهِ عامل على عملهِ . ولكن هوميروس سبق فاثبت فساد هذا القول فكأن الخلان الداعين الى هذا المجلس استوحوا روحهُ اقتداء بهِ في الاستحياء وحسبي ان اوجه نظركم الى كلمة وليمة في معجم الالياذة فترون انها كانت المفخرة التي يسعى اليها الملوك والعظماء من قبل عهد هوميروس عند اليونان ثم عند العرب وانهُ كان لها عند الفريقين معنى سام يتسابق القوم اليهِ ويضبطون عليهِ

قلت ان مفاد هذا الاجتماع بالنظر الى الأدب اسمى من بروز الالياذة . وذلك لانهُ نتاج روح حياة جديدة تسربت في عروق ابناء اللغة العربية فهبّوا هبّة يحيونها تحية اللقاء بعد الهجر وهم جميعاً راغبون في الحياة الحقة وعالمون ان حياة اللغة انما هي حياة الامة فلا

بقاء للغة الا بامتها ولا بقاء لامة الاَّ بلغتها

ولا شك ان نشوء الاليازة العربية كان في طالع ميمون والا فما تسنى لما ان تفتخر باقبالكم عليها هذا الاقبال . فكم من فاضل منكم وممن تقدمنا في هذا القرن وقف عمرهُ على خدمة الادب فكان اولى من صاحب الاليازة هذا بهذا الانعطاف من لدنكم . او لا ترون بين الحضور رهطاً ونعم الرهط ممن اكتهل وشاب بين الاقلام والمحابر فاستمد معرب الاليازة وامثالهُ مما سطروا وحبروا ما لا يقوم بثمن فكانوا اولى منهُ بمثل هذه الحفلة الزاهرة فان تكن اذا للاليازة مزيّة على ما تقدمها من النفائس فما تلك المزية الا قبس من نوركم اذ حشها الحظ فنشأت وجرثومة الادب مختمرة في الصدور بعد ان كنت دهراً فرحبتم بها وقدرتموها فوق قدرها تنشيطاً لامثال معربها واعلاناً للملإ ان هذه اللغة لا تزال في نضارة صباها وان تقادم عليها العهد وان شأنها سيظل على سموه او يزيد فمثلها مثل زهرة هوميروس لا يزيدها كرور الايام الا بهاء وجمالاً

تلك ايها السادة احدى حسنات هذا الاجتماع . ولكن هناك حسنة أُخرى وليست بالحسنة الصغرى ألا وهي شعور المصري والسوري انهما شريكان متضامنان في اللغة التي نشأا فيها وأن لا سبيل الى فسخ هذه الشركة ما نبض فيهما عرق فاذا افلح احدهما في تجارتهِ فالربح للشريكين واذا قضي عليهما لا سمح الله بالافلاس فلا يفلسان الاَّ معاً . عمد محمد علي الكبير الى انشاء المدارس فوضع لخلفائهِ اساساً متيناً وتخرج الطلبة فساروا في اللغة شوطاً مذكوراً أفكانت فائدة تلك المساعي محصورة في ابناء مصر او لم يجنِ اخوانهم السوريون من ثمارها ما لا يزالون يذكرون حلو طعمهِ

هب السوريون في منتصف القرن الماضي فورد فريق منهم مناهل العلم والادب فهل كان لهم ان يستأثروا بها او لم تكن كل خطوة تخطوها احدى الشقيقتين تعقبها بها الاخرى او تسيران معاً متعاضدتين متكاتفتين كأنهما توأمان متلاصقان لا ينفصلان وبهما حياة

يقول الحكماء لا وطن للعلم فحيثما حل فهو الضيف الكريم ثم لا يلبث ان يبيت الوطني المقيم فاذا غرس الغربي غرساً فللشرقي ان يجني ثمارهُ و يكفيهِ ان ينهض فيمد يدهُ الى ذلك الغرس او يتخذ منهُ فسيلة يلقيها في ارضهِ وينيلها بعض العناء فتثمر رطباً جنياً وكل بلاد الله صالحة لاستثمارهِ

واما الادب فلا يصح فيهِ هذا القول على اطلاقهِ وكلما تباعدت الالسنة اختلت فيهِ شرائط الارتباط فمصر وسوريا متصلتان مع سائر اقطار العالم بشركة العلم اذا شاءتا . ولكن

بينهما صلة خاصة لا قبل لهما بفصم عراها وان ارادتا . واذا لم يكن هنا موضع النظر في الجو وصفائهِ والجوار وحقوقهِ والمشارب والاخلاق وطرق المعيشة فهل لنا ان نغفل النظر الى اللغة وهي العروة الوثقى . كل ذلك يقضي عليهما ان تتناسبا بالادب وهو خير النسب اذ كل رابطة اقرب الى الانحلال من رابطة اللغة وكل نسب اقرب الى الاختلال من نسب الفضل والادب على حد قول الشريف الرضي في رثاء الصابي

الفضل ناسب بيننا اذ لم يكن شرفي مناسبهُ ولا ميلادي
ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي فلانت اعلقهم يدا بودادي

سادتي لو احصينا المتكلمين بالعربية لالفيناهم لا يقلون عن المتكلمين بكثير من لغات الغرب المتمدن ولو قسنا ساحة بلادهم لوسعت بلاد دول شتى من دول عالم العمران . فاللغة اذاً حية بخلاف ما يزعم بعض الغلاة . وان جميع هذه البلاد متكافلة تكافلاً طبيعياً بنهضة الادب ولكنهُ لا بد من مورد عامّ تمتد منهُ الجداول العذبة الى سائر الاطراف . وليس في زمننا هذا اجدر بانشاء هذا المورد من هذه الديار المصرية فانا في زمن يقظة ونقدم فهي الفرصة المثلى والحكيم من انتهز الفرص ولا اخالكم الاّ جيشاً عاملاً متطلعاً الى هذه الغاية وعالماً ان هذا هو زمن اندفاع الافكار بتيار الاجتهاد وان هذا التيار اذا اندفع بقوم اندفاعاً حقيقياً فضّ السدود وتجاوز الحواجز فان ابناء العربية قد علموا ان لا معين لهم غير انفسهم على بلوغ امنيتهم منها فاذا اخلصوا النية وهم تخلصوها باذن الله فلا حائل يصدهم عن النهوض بها . ولا شك انهم اعادوا الكرّة في هذه الآونة المتأخرة فوثبوا بها وثبة جديدة فعسى ان يستمر هذا الوثوب وسيستمر ان شاء الله بفضلكم حتى يسوغ لنا ان نقول

نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

ووقف بعدهُ سعادة شكور باشا فخطب بالفرنسوية واثنى على مترجم الالياذة بلسان حال "مصر امّ التمدن ومصدر الوحي الذي هبط على شعراء اليونان منذ قديم الزمان . مصر التي لا يعتور صباها ضعف ولا هرم معاطال عليها القدم . مصر اخت المودة والضيافة والجود والكرم"

وتلاهُ المسيو بوفوداس رئيس المدرسة العبيدية بخطبة فرنسوية والاستاذ اقرونينائس بخطبة يونانية . وانصرف الداعون والمدعوون وهم مجمعون على مدح تلك الحفلة الادبية ويودون لو كانت فاتحة لامثالها شدّاً لازر رجال العلم والفضل وتشويقاً الى الاشتغال بالعلم والاداب ويشكرون صاحب هذه الفكرة ورئيس اللجنة التي نظمت هذه الحفلة عبد الله بك صفير وسائر الذين شاركوهُ فيها من اعضاء اللجنة